التذكرة في الوعظ

٢٩٧,٣٢
ت ب ت

لابن الجوزي

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبى ونعم الوكيل

سبحان اللّه ماتعاقبت الليالى والأيام، والحمد لله عدد الشهور والأعوام، ولا إله إلا اللّه لاتتصور عظمته الأوهام .

واللّه أكبر ذو الجلال والإكرام، والعزة التى لاترام، مدهّر الدهر، مدبّر الأمر، ومقدّر اليوم، والليلة، والسنة، والنهار، والعالى فوق كل شىء بالسلطان والقهر والجلال .

كل معبود دون اللّه باطل، وإنه وحده دون غيره رب الأواخر والأوائل.

كيف يكون غيرَ اللّه معبودٌ سواه، وكل من تحت عرشه يرجوه ويخشاه ؟ أليست الشمس والقمر والنجوم مسخرات ؟ أليست السموات والأرض ومافيها بحكمته مدبرات ؟ أليست الأهلة بتسخيره على أقطارها دائرات ؟ أليست العقول فى فلوات تيه (١) معرفته حائرات ؟

سبحانه سبحانه ، ماأعظم شانه.

سبحانه سبحانه ، ماأدوم سلطانه.

عـــبـــدٌ تَولاَّه الإله بنَفْســـه وَسَقَاهُ من كأس المحبـة مـافـيـهـا

من صفا مع اللّه صافاه، ومن أوى إلى اللّه آواه، ومن فوض أمره إلى اللّه

---

(١) الفلاة : الأرض التى لا ماء فيها و «التيه» المفازة وهى التى لاعلامة فيها يهتدى بها .

كفاه، ومن باع نفسه من اللّه اشتراه، وجعل ثمنه جنته ورضاه .

وعد صادق، وعهد سابق، ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾(١) .

لا يزال العبد خائفاً على نفسه حتي يدخله الله حماه، ومن أراد أن يعلم هل هو من أولياء الله؟ فلينظر كيف ولاؤه لمن والاه، وعداوته لمن عاداه؟

من سلك سبيل أهل السلامة سلم ، ومن لم يقبل مناصحة الناصحين ندم.

لا رزية كرزية (٢) من حرم الاقتداء بشرائع المسلمين.

لا بلية كبلية من مات مصراً على مخالفة رب العالمين.

الحياة كلها فى إدامة الذكر، والعافية كلها فى موافقة الامور ، والنجاة من الهلاك فى ركوب سفينة الكتاب والسنة، والفوز فوز من زحزح عن النار وأدخل الجنة .

ليس الميت من خرجت روحه من جنبيه، وإنما الميت من لا يفقه ماذا لربه من الحقوق عليه .

الكرامة كرامة التقوى، والعز عز الطاعة، والأنس أنس الإحسان، والوحشة وحشة الإساءة، وكل مصيبة لا يكون الله عنك فيها معرضاً فهى نعمة .

الغفلة عن الله ما قدحنا شئ غيره، ولولا الجهل بعظمة الله ما زغنا عن أمره، ولولا الاغترار بحكم الله ما أصررنا على معصيته، ولولا الإساءة فيما بيننا وبين الله ما استوحشنا من كتابه.

كونوا كما أمركم الله، يكن لكم كما وعدكم.

أجيبوا الله إذا دعاكم، يجيبكم إذا دعوتموه.

اعطوا الله ما طلبه من طاعته، يعطكم من رحمته ما طلبتموه.

مثل العبادة بغير إخلاص، مثل الحَدَقَةِ بلا ناظر.

---

(١) سورة التوبة الآية : ١١١

(٢) «الرزية» : المصيبة والمراد بها هنا المعصية

تسمية الله فى ابتداء كل أمر، نجاح ذلك الأمر(١)

استهداء الله فى كل مسلك أمان للسائر من الضلال.

أيها الناس: من أكرم على الله منكم لو أكرمتم أنفسكم بالتقوى، من أولى بالله منكم لو أحكمتم فيما بينكم وبينه عقد الولاء، من أقرب الى الله منكم لو آثرتم القرب على النوى .

لو عرف الانسان قدر نفسه ما دسّاها (٢)بمعصية الله، ولا دنّس عرضه بسوء ثناء الحفظة عليه في حضرة مولاه.

ولا يؤنس فى وحشة القبر إلا العمل الصالح، ولا يطفيء لهب النار إلا نور الإيمان، ولا يثبت القدم على الصراط المستقيم إلا الاستقامة فى السلوك .

الرب خالق، والعبد مخلوق، ولا نسبة بين الخالق والمخلوق إلا بواسطة الارتباط عليه بالعمل بكتابه الذى أنزله عليه فاعملوا بالكتاب، وتابعوا السنة، تتخلصوا من العذاب وتحصلوا على الجنة.

ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* * *

(١) يقول ﷺ «كل أمر ذى بال لا يفتح بذكر الله عز وجل فهو أبتر أو قال أقطع» .
(٢) أى أو بقها بالكفر والمعصية .

المجلس الأول
نعم الله تستوجب شكره

الحمد لله الذى أيسر ما يستوجب شكر الشاكرين، وقطرة من بحار كرمه تعم جميع العالمين، تملأ القلوبُ فرحاً بالموهبة اليسيرة من هباته، وتحير القلوب دهشاً بالآية اللطيفة من بدائع آياته.

قتل ملك(١) الأرض كلها ببعوضة دخلت أنفه، وأغرق الذى قال : ﴿أنا ربكم الأعلي﴾ (٢) بقطرة أوردته حتفه، وهل أغرق فرعون من تيار ذلك الماء إلا قطرة حالت بينه وبين شم الهواء.

يجوع الملك العظيم من ملوك الارض ساعة، ثم يَلقَى كسرة فتملأ قلبه سروراً.

ويبتلى الأسد الضارى بذبابة يسقط على عينه، فيظل فى قبضته أسيراً.

ويسلط الحية الصغيرة على الفيل العظيم، فيخر منجدلاً (٣) عقيراً .

﴿وما كان اللّه ليعجزه من شيء في السموات ولافي الأرض إنه كان عليماً قديراً﴾ (٤) .

---

(١) يقال إنه النمرود وهو الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك.
(٢) سورة النازعات الآية : ٢٤ وهو فرعون .
(٣) «منجدلاً» : منكسراً .
(٤) سورة فاطر الآية : ٤٤

إذا اكـــتـــفتْك عِظامُ الأمـــور ولم تر منهـا عليـهـا مُجـيـرا
وصـيَّرك الهم فى قـبـضـهـة من النَّايبـــات (١) أسيراً حسيرا
هنـالـك فـــــارجُ الكـريم الـذى يُصـيّرِ كل عـســيـر يسـيـرا
عليّا كـبـيـراً عليـمـاً قـديراً لطيفـاَ خبـيـراً سـمـيـعـاً بصـيـرا
هو المُنشئ الخلق من قـبـضـتـه فـعـبـداً شكوراً وعـبـداً كـفـورا
وعـبـداً سـعـيـداً وعـبـداً غنيّاً وعـبـداً شـقـيّا وعـبـداً فـقـيـرا
له الفـضـلُ والعـدلُ فى حُكمـه فَطَوْراً حَبَـــــوراً وطَوْراً ثبـــــورا

* * *

لولا الخالق لم يكن المخلوق شيئاً مذكوراً، ولولا الرازق لم يملك المرزوق فتيلاً (٢) ولا نقيراً (٣). كم من نعمة قد أنعم اللّه بها علينا، وكم من حسنة قد ساقها اللّه إلينا : عافانا فى أديانا من الكفر، وفى أبداننا من الضّر، وأخرجنا من أصلاب آبائنا مسلمين، وأنشأنا بين إخوان مؤمنين، وجعل لساننا الذى نتكلم به أفصح الألسنة لهجة، وطريقنا الذى نسلك به إليه من أوضح الطرق محجة .

فبأى شكر نقابل نِعَمَهُ علينا، وبأى جزاء نكافىء إحسانه إلينا .

سبحانه، سبحانه .

ماقام أحد من خلقه بحقيقة شكره، ولاأثنى عليه مُثْنٍ من عباده كما أثنى هو نفسه، ولاقدَّره مخلوق حق قدره، لأن ذلك كله موقوف على المعرفة به، وهو بحر مابلغ أحد إلى قعره .

سبحانه، سبحانه .

ماأسبغ أنعمه، وأعدل أحكامه .

لو أننا شكرنا كما فى وسعنا لأوسعنا مزيداً، ولو اتخذناه كما ينبغى له ربّاً

---

(١) «النايبات» : مصائب الدهر

(٢) «فتيلا» : الفتيل : التافه من الأشياء .

(٣) «نقيراً» : النقرة التى فى ظهر النواة .

لاصطفانا لنفسه عبيداً، ولكنا لِكشَافة الحجاب وقفنا مع الأسباب .

كم مُدَّع لتوحيد وهو مشرك بربه، وكم قائل أنا عبد اللّه وهو عبد بطنه، يعصى ربه فى إطاعه نفسه، ويبيع رضوان اللّه برضا مخلوق مثله .

كم بين متبع للهوى ـ هوى نفسه ـ قد اتخذ إلهه هواه .

وبين ممتثل أمر ربه يشرى نفسه ابتغاء مرضاة اللّه .

أما يستحى المدعى لمحبة الخالق، أن يكون محبّا لمخلوق أحسن منه فى معاملة الحبيب أدباً؟ وأصح منه فى دعوى المحبة نسباً؟

رؤى مجنون ليلى بعد موته فى المنام، فقيل له : ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لى، وقال لى: اذهب، فقد جعلتك حجة على كل من ادعى محبتى.

* * *

أهْلُونا لِوَصْلِهِمْ ثُم صُدُّوا ... ليروا صبّرنا فما إن صبَرنا
ثم جاؤوا بالقُرب بعد بُعادٍ ... ليَرَوْا شكرنا فما إن شكرنا
عذَرونَا فى كلِ شىءٍ سوى ... السُّلُوّ عنهم فإننا ما عذرنا
لو عرفنا حبيبنَا ما سَلَوْنا ... ولكن قدره ما قدرنا
لو سَعِدْنا بوَصْلَهِ ما شقينا ... لو غَنينا بفَضْله ما افتقرنا
لو رُوِينا من حبّه ما ظَمِئْنا ... لو سَلكنا فى طريقه ما عثَرنا
هو نعم الحبيب لكننا بئيس (١) ... المحبُّونَ لم نُطع إذا أُمرنا
شفرةً من حنَان ما قربنا ليـ ... ـلةً فى مرضاته ما سَمِرْنا
لو ذكرنا ما كان منه ... ومِنا لَخزِينا ما ذَكَرْنا

* * *

(١) «بئيس» : تصغير الفعل الماضى بئس.

الزهد فى الدنيا الفانية وطلب الآخرة الباقية

ينبغى للعبد المؤمن بربه إذا نظر الى زهرة الدنيا، فدعته الى نفسها، برونقها البهيج، أن يقول لها بلسان الحال : إليك عنى يا سريعة الزوال! إنما تصلحين للتشويق الى دار ليس لساكنها عنها انتقال، أنت خزف فانٍ، وتلك جوهر باقٍ، فلتفرق بين الدارين عقول الرجال .

* * *

خَلِّ عن الزَّوالِ والفَنَاءِ ويَمِّمْ نحو الجَنَابِ العَالى
منزلَ الكرامةِ والأُنسِ والبِرِّ ونَيْلِ المنى ونَيْلِ النَّوال
تلكَ واللهِ قَومٍ شَرَوْها بنفيسِ النَّفوسِ والأَموال
حين زُفَّت إليهم خَطَبُوها ثم ساقوا لها المهور الغوالى
قاتلوا دونَ خدرها فى هواها بصفاح(١) بيضٍ شر غوالى
ثم حاموا عنها وحاموا عليها بورود الأوجال والآجال(٢)
فامتطوا عزمٍ معشرٍ رغبوا في أن يحلوا ساميات المعالى
سادة قادة حماة كماة محب مزل فحول ورجال
لبسوا للردى دروع اصطبارٍ ولقوه بعزمة الأبطال
خشيةَ أن يفوتهم ما رَجَوه من جناب المهيمن المتعال
لم يزالوا فى السير حتى أناخوا(٣) بمحل الإكرام والإجلال
مقعد الصدق فى جناب مليك ذى اقتدارٍ وعزّةٍ وجلال

* * *

صفات الفائزين من المؤمنين

أين خُطّاب هذه العرائس؟ أين هذه النفائس؟ هم الذين مدحهم الله فى

---

(١) «بصفاح» : بسيوف صفاح.
(٢) «الأوجال» الخوف .
(٣) أناخ الجمل : اى أبركه فبرك : والمعنى استراحوا

محكم القرآن، فى أول سورة المؤمنين(١)، وآخر سورة الفرقان(٢)

تلك والله صفات الفائزين بالرضوان، والخالدين فى نعيم الجنان، الحائزين رغائب البر ومواهب الإحسان.

اللهم بما أنعمت عليهم، فارزقنا ما رزقتهم فى الدنيا، من طاعتك وذكرك، وفى الآخرة من نعيم جنتك، ولذة النظر الى وجهك، وألحقنا بهم، وأدخلنا فيهم، واجعلنا منهم، ولا تجعل نصيبنا منك ما عجلته لنا من مواهب الدنيا، بل ادخر لنا عندك ما ادخرته لأهل سلامة العقبى.

واجعل الآخرة خير لنا من الأولى، وإذا أقررت أهل الدنيا بالدنيا، فأقر أعيننا بموجبات المغفرة والرحمة والرضا.

يا من عاد يمنع ركنه العائدون، سبحانك، ما أعظم شأنك .

يا من دعته الملبون – سبحانك ما أعظم شأنك – يا من مَدّ إليهم أكفهم السائلون – سبحانك ما أعظم شأنك، يا من تقوم السماء، والأرض بأمره–يا من ينقاد الصعب الذلول بحكمه، يا من يفرق المحسن، والمثنى من عدله ـ يا من يفتقر الغنى، والفقير إلى رزقك سبحانك ماأعظم شأنك ـ يامن خضعت الأعناق لعزته، يامن توجهت الوجوه إلى قبلته، يامن اعترفت الخليقة بربوبيته، سبحانك ماأعظم شأنك، يامن له مافى السماوات والأرض كل له قانتون، يامن دعا إلى حج بيته على لسان خليله فلباه فى الأصلاب الملبون يامن اعكف على باب فضله العاكفون . إليه بالدعاء والسؤال يجأرون، وبرحمته فى الدنيا والآخرة يتعرضون ومن مخالفة أمره يستغفرون، وبأذيال عفوه يتمسكون . سبحانك ما أعظم شأنك .

سبحانك، ما أوضح برهانك.

سبحانك، ما أقدم سلطانك.

سبحانك، ماأوسع غفرانك.

---

(١) يقصد قول الله تعالي: قد أفلح المؤمنون ..راجع الآيات (١ ـ ١١)

(٢)يقصد الآيات : وعباد الرحمنالذين يمشون على الأرض هونا .. الآيات (٦٣ – ٧٧)

سبحت لك السموات وأملاكها، والنجوم وأفلاكها، والأرض وسكانها، والبحار وحيتانها، والسادات وعبيدها، والأمطار ورعودها، والملوك ومماليكها، والجيوش ومعاركها، والديار وأطلالها، والأسود وأشبالها .

كلٌّ معترفٌ . .

فإنك لفطرته خالق، ولفاقته رازق، وبناصيته آخذ، وبعفوك من عقابك عائذ، وبرضاك من سخطك لائذ، إلا الذين حقّت عليهم كلمة العذاب، فالقضاء فيهم نافذ .

* * *

يا مـــالكاً هو بالنّواصى آخـــذ ... وقـــضـــاؤُه فى كل شىءٍ نافـــذْ
أنا عـــائذٌ بك يا كـــريم ولم يَخِب ... عـبـد بعـزّك مـسـتـجـيـر عـائذْ
أرجـوك ياسُؤلى فـتـحـيـا مُهـجـتى ... والخوف من عَملى لكَبدى فَالذْ فأنا
إن لاذَ غـــيـــرى بالأنام وظُلمـــهم ... لـــذى بـــظَلـــيـــل ظـــلـــلّك لَائـــذْ
فـــامنُن علىَّ بتـــوبةٍ يُمـــحـــا بهـــا ... ذنب نظرى فى القـــيـــامـــة قـــائذْ

* * *

مجالس الذكر ولحظات القرب من الله وساعات الغفران منه تعالى

فى مثل هذه الساعة يرجى الغفران، ويتوقع الإحسان، ويطلب من صاحب الأمر الأمان.

لو كشف عن الأبصار حوابك الانتشار، لعاينتهم الرحمة، تنزل فى هذا الوقت كالأمطار الغزار .

كم لله فى مجالس الذكر من عينٍ محرمة على النار، كم قد وضع فيهاعن الظهور من ثقل الأوزار، وتنفجر فيها ينابيع الرحمة، ويتوفر فيها على الحاضرين من النعمة، ويعطى كل سائل ماسأله، ومبلغ كل آملٍ ما أمله، من كرم ذى الجلال والإكرام، ومواهب من له الفضل والإنعام، الذى لايتعاظم ذنب غفره لجانيه، ولافضل وهبه لسائليه. فأحضروا فى هذه الساعة قلوبكم، واغتسلوا بمياه التوبة ذنوبكم، واستغفروا ربكم فإنه يغفر ذنوب المستغفرين، واعتذروا إليه من تقصيركم، فإنه يقبل عذر المعتذرين، واستنصروا على من بغى عليكم، فما أسرع نصرته إلى المنتصرين .

من كان مقيد الجوارح عن محارم اللهفهو رأس الخائفين .

ومن كان لا يسكن بقلبه إلى شيء سوى اللّه فهو سلطان العارفين، فارغبوا في القرب من اللّه .

لله دُرّ أقوامٍ عكفوا بقلوبهم عليه، وتقرّبوا بذبح نفوسِهم إليه، لايسمعون فى محبته عذل العاذلين، ولايعتذرون بالإنفاق فى سبيله بِنحَل النحالين .

أبغضوا كل من سواه ليكون منهم دانياً، وخرجوا من كل شيء ليدخلوا إليه، وظعنوا (١) عن كل شيء ليقدموا عليه، وهجروا كل حبيب فى طلب وِصَالِهَ، وأعرضوا عن كل قريب طعماً فى إقباله .

فلو قيل لهم : من معبودكم؟ لقالوا: اللّه. ولو سئلوا: مامقصدكم؟ لقالوا: اللّه.فاللّه سبحانه هو معبودهم الذى يعبدونه، ومقصودهم الذى لا يستقرون دونه

* * *

لربِّى عِبادٌ وحدهُ يعبدونهُ يرومونهُ لايستقرون دونه
هو السندُ الأقوى استندُوا به هو القَصْدُ الأقصى الذى يقصدونه
إذا اعتمد المضطّر في الخَطْبِ (٢) غيره فليس لهم إلا هو يعتمدونه
إذا حسدَ الناس الملوكَ بملكهم فليس لهم فى الناس من يَحْسدونه

---

(١) ظعنوا : ساروا ورحلوا .
(٢) «الخطب» : رشدة الأمر

لأنهم حلّوا ضَمَايِر مالك ... فمهما أرادوا عنده يجدونه
محبّته القوت الذي يقتتونه ... وتوحيده الوِرْد (١) الذي يردونه
متى فاتهم من وَصْله قدر ذرّة ... فبالروح زالَ القدر الذي يفتدونه
لهذا اصطفاهم للعبَادة دون من ... سواهم فهم طوال المدى يعبدونه
تولاّهم دون الورَى (٢)فوَلاؤه ... طراز (٣) على ثوب التقى يرتدونه

* * *

دعاءٌ وثناء وابتهال الله تعالى

هذه ساعة رفيعة القدر، منيرة الفجر، قد أثنينا فيها على اللّه بالأبد، وجلونا فيها محاسن آلائه .

والرب سبحانه قد أشرقت علينا أنوار قربه، على القلوب، ورجونا من سعة عفوه غفران الذنوب .

فمدّوا أيديكم لنستقي سحب رحمته الممطرة، ونستكسي من رضوانه الحلل الفاخرة.

ومن كان منكم لبعض إخوانه المؤمنين مصارماً (٤)، فليكن من الآن على مواصلته عازماً.

ومن كان مصراً على مكروه، فليقلع عنه.

ومن كان قد أصاب ذنباً فليتب إلى اللّه.

ومن كان مشاحناً لجاره، فليقصد حسن الجوار، فلا حق بعد حق القرابة أعظم من حق الجار .

---

(١) الورد: الماء المورود المطروق .

(٢) «الورى» : الخلق.

(٣) الطراز: الرسوم التي تكون على الثوب .

(٤) أي مقاطعا مخاصما .

طامعة: ياحيُّ ياقيّوم، ياذا الجلال والإكرام، ياأرحم الراحمين، ياكثير الخير، و يا دائم المعروف، ياذا المعروف الذى لاينقطع أبداً، ولايحصيه غيره أحداً .

يامحسن، يامجمل، يامنعم، يامفضل: نسألك مما كتبت على نفسك من الرحمة، ومما فى خزائن فيضك، ومكنون غيبك، أن تُضاعف صلواتك على سيدنا محمد، وآله وصحبه، وسائر عبادك الصالحين .

اللهم اعتقنا من رق الذنوب، وخلصنا من أَشَرِ (١)النفوس، وأذهب عنا وحشة الإساءة، وطهرنا من دنس الذنوب، وباعد بيننا وبين الخطايا، وأجرنا من الشيطان الرجيم .

اللهم طيبنا للقائك، وأهّلنا لولائك، وأدخلنا فى المرحومين، وألحقنا بالصالحين، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وتلاوة كتابك، واجعلنا من حزبك المفلحين، وأيدنا بجندك المنصورين، ورزقنا مرافقة الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

اللهم اغفر لنا مامضى من ذنوبنا، واحفظنا فيما بقى من أعمارنا، وكلما عُدنا بالمعصية فعد علينا بالتوبة منها .

وإذا ثقلت علينا الطاعة فهوِّنها علينا، وذكّرنا إذا نسينا، وبصّرنا إذا عمينا، وأشركنا فى صالح دعاء المؤمنين، وأشركهم فى صالح دعائنا، برحمتك ياأرحم الراحمين .

لخالقنا الحمد على مامَنَّ به من الفضل وأنعم، وله الحمد عدد ماأسبغ على خلقه من النعم، وله الحمد كما يستوجبه على جميع الأمم، وله الحمد كما أثنى على نفسه فى القدم. وله الحمد كما أجراه على ألسنة حامديه، وألهَمَهم حمداً تضيق عنه الآفاق، ولاتسعه السبع الطباق، كما يحب ويرضى، ينقضى الليل والنهار ولاينقضى، لاتحصيه السفرة الكرام، ولاتفنيه الليالى والأيام.

وكيف لانحمد خالقنا الذى لم يشاركه فى خلقه أحد، ورازقنا الذى

---

(١)الأشر : البطر .

لو عددنا نعمه لم يحصرها العدد.

كنا أمواتاً فأحيانا، وفقراء فأغنانا، وهو الذى أطعمنا وأسقانا وكفانا وآوانا، وأرسل إلينا رسولاً وأنزل علينا قرآناً، وأجرى على جوارحنا طاعته، وكتب فى قلوبنا إيماناً .

فله الحمد على ماأولانا، إن رحمنا أو عذبنا، وإن أسعدنا أو أشقانا.

* * *

المتقون محبوبون فى الدنيا فالحون فى يوم القيامة

ـ السلطان العادل وجنده: يحاربون الأعداء، ويفتحون الأمطار، ويغنمون الأموال، فيكون ذلك لهم لذة فى دنياهم ومثوبة فى أخراهم .

ـ والعلماء الذين يعلمون الناس علوم الدين: فهم فى الدنيا بين الناس مكرمون، وفى الآخرة على هداية الخلق إلى الله مأجورون.

ـ والمؤدبون أولادهم بالآداب الحسنة، والعلوم النافعة: فالوالد يُحسُّ حال ولده، فهو أبيض الوجه، قرير العين فى الدنيا، رفيع المنزل، عظيم المثوبة فى الآخرة.

ـ والمعامل للناس بالصحة والسلامة فى مجاورتهم ومعاشرتهم، فهو فى الدنيا أبيض الوجه، وفى الآخرة عظيم الأجر.

ـ والموسع على عياله من صالح كسبه: فهو مسرور لحسن حالهم فى الدنيا، ومأجور على إحسانه إليهم فى الآخرة.

ـ والمتقربون إلى الله تعالى بقربان الأضاحى، وسائر مافيه النفع المتعدى: فهم لايزالون يسمعون من الناس حسن الثناء، مع ماادخر الله لهم من حسن الجزاء .

ـ والزاهد العابد، الذى قد أقبل على ربه، وأعرض عن شهوات نفسه: فهو فى الدنيا حبيب القلوب والأرواح، وفى الآخرة مبعوث فى زمرة أهل الفوز والصلاح.

سبحان لله، والحمدلله، ولا إله إلا لله، ولله أكبر .

طوبى لعبد إذا أحسن إليه ربه حمد وشكر، وإذا أساء إلى نفسه تاب واستغفر.

كلما قضى عليه بمعصية اغتم وحزن، وكلما وفق لطاعة فرح واستبشر.

* * *

يا من بغير رِضَاه لا أستبشر ... أترى بقربى من جنابك أظفر

حزنى على ما فات منك ملابسي ... أغدو بها بين الورى أتبختر(١)

وإذا اغتذى قلبٌ بطيب مطاعم ... فغذاء قلبى أنه لك يذكر

وإذا تقرَّب ناسكٌ بضحية ... فضحيتى أنى لنفسى أنحر

يا مالك الرِّقّ الذى لغيبك ... حقّاً على كل الموالى المفخر

مالى هجرت ولم أزل بك عائذاً ... إنى إذاً عن الوصال وأهجر

وكسرت بالإعراض منك ولم يزل ... قلب الكسير بباب جودك يجبر

إن كنت تعطى السائلين لفقرهم ... فأنا الى جدواك منهم أفقر

أو كان بالجرم الكبير جرَمْتنى(٢) ... فأنا الشهيد بأن عفوك أكبر

مثلى يسامح بالذنوب لأننى ... من أن تؤاخذ فىّ أذل وأحقر

هَبنى أتيتك بالجرائم كلها ... أنت الذى كل الجرائم تغفر

* * *

مقارنة بين حال الغافلين المستهترين والمستيقظين الآمنين

لك الغافلين من الحمقى والشباب، فى لبس مبغضات الثياب، وتناول ألوان الطعام والشراب، واللهو بين الرياض والأنهار مع الأخدان(٣) ،الأتراب

ولك المستيقظين فى إنفاق الأعمال الصالحة لإحراز الثواب، والاهتمام

---

(١) أتبختر : أفتخر

(٢) «جرمتنى» : رأى وصمتني بالذنب .

(٣) « الأخدان » الأصدقاء .

بأمر العاقبة لكريم المآب، وإنقاذ نفوسهم من سوء الحساب، وأليم العذاب، والفوز بمفاز ذى حدائق وأعناب، ولذة العارفين فيما يقربهم من جناب العزيز الوهاب. لا تهتمون بما تحت العرش وما فوق التراب، لأن ذلك كله مخلوق والاهتمام بالخالق أوجب عند أولى الألباب.

إذا أعجبتك الدنيا برونق رائقها ، فاجعلها سبباً للشوق الى رياض الجنة وحدائقها. وإذا بهرتك الجنة بنعوت ذرابيها ونمارقها، فاجعلها حاديا تحدوك الى جنات خالقه.

* * *

رؤيا منامية عن الجنة ونعيمها

رأيت يوم جمعة فى المنام، ونحن فى انتظار الصلاة، قائلاً يقول:

إنما يصلح العبد لحضرة الله، بعد أن يجعله فى الجنة، بين حورها وولدانها وسائر نعيمها، ثم تراه غير ملتفت إلى شئ من ذلك، فحينئذ يرسل جبريل فيدعوه الى الحضرة.

لعمرى إن جنة عدن عظيمة القدر، ولكن حضرة الله أعظم ما فيها.

وجنة الفردوس لذيذة الوقع، ولكن ألذ منها النظرة الى وجه بانيها.

كما لا يُشبه الله تعالى شىء من خلقه، كذلك لا يستغنى بشىء من رزقه، قدر هذا الكلام فوق همة القائل والسامع، وما منّا إلا من هو فى نيل هذا الأمر طامع، فنعوذ بالله أن يكون طمعنا غروراً، ونسأله ألا تكون حقيقة الزيادة فى حقنا زوراً.

لولا رجاء كريم، وعدل، ما طمعنا أن نزور،، لكن وعدت وليس وعدك زوراً. نستغفر الله العظيم.

طريق الخشية والتعظيم، طريق مأمون العثار سليم، فعظموا الله العظيم، بمبلغ ما تبلغه عقولكم وأفهامكم.